

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

حَمْدُكَ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةُكَ الْكَافَّةُ

يجب أن ندعو إليها على بصيرة وثقة

[دعت ندوة المجاهدين ، - المنظمة الاسلامية الكبيرة في ولاية كيرله جنوب الهند - أبا الحسن على الحسيني الندوي لرئاسة احتفالها السنوي المنعقد في ١٨ / من شعبان عام ١٣٨٠ هـ (٥ / من شباط سنة ١٩٦١ م) في كالي كوت ، فألقى هذه المحاضرة - كرئيس الحفلة - باللغة العربية التي هي لغة التفاهم بين علماء جنوبي الهند وشمالها في هذه المنطقة .]

ملزم النشر والتوزيع

المجمع الإسلامي العلمي

نوعه العلماء ، ص . ب . ١١٩ لكهنؤو الهند

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى » - لكناؤ (الهند)

رقم - ٩

★

الطبعة الثانية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

★

قام بالنشر

محمد غياث الدين الندوى

★

المطبعة الندوية

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

(AP-SN : 64)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا
و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان
إلى يوم الدين .

تحية و شكر :

سادق ! إن الذى يحمد هذه المجموعة الكبيرة الطيبة
من أهل العلم و الفضل و الوعى فى صعيد واحد يسعد بلقائها
ومعرفتها و يتحدث إليها ، لسعيد جداً ، إنها سعادة يهون فى
جنبها ما قطع من مسافات و تحمل من مشقات ، إن هذا
الحفل الذى يجمع بين طبقات مختلفة و أفراد جاءوا من
جهات بعيدة يبحث عنه الداعى فلا يجده بسهولة و يتمناه
فلا يحظى به إلا فى النادر ، هذا و القلوب مقبلة و الآذان

صاغية ، فاسمحوا لي أيها السادة ! أن أشكركم على هذه الفرصة
الغالية التي آتتكموها لي ، وأسألوا الله معي أن يلهمني الحكمة
وفصل الخطاب ، و أن ينفعنا جميعاً بهذا اللقاء الكريم .

سمات العصر الحاضر :

أيها السادة ! لقد اختار الله لكم ، لحكمة يعلمها ، عصرأ
قد فشت فيه الثورة على الرسائل السماوية والمفاهيم الدينية
و القيم الخلقية و الحقائق الغيبية . و كل ما يتصل بما وراء
المادة و الطبيعة ، وحلت الفلسفات الاقتصادية و النظم
السياسية محل الأديان في العصور الماضية ، وتولدت مشكلات
و أزمات طريفة ملأت كل فراغ في الوقت و التفكير في
حياة الانسان ، عصرأ سمته الاضطراب و القلق و التبرم و حب
السرعة ، و الجدة و التطور و الطموح و حب التسخير .

ثم إنه عصر لا يزال فيه — رغم التور و التقدم في
العلم و المدنية — سلطان الخرافات الوثنية ، و العصبية
الجاهلية ، و لا يزال فيه الانسان أسير الأوهام و الشهوات ،
أسير العنصرية و الوطنية ، أسير اللون و الجنس ، و لا تزال

الذنوب و المعاصي و الفواحش و المنكرات و البدع منتشرة ،
و قد أصبح اللهو و تسلية النفس فناً و فلسفة و ديناً
و شريعة ، إنه عصر محنة لأهل الأديان و خلفاء الرسل عامة ،
و للقائمين بآخر الأديان بصفة خاصة .

وضع لائق لجهاد خلفاء الرسل :

و لكنه وضع لا يوجب العزاء و الرثاء ، و الجزع
و البكاء ، بل يوجب الحمد و الشكر و الغبطة و المباهاة ، إنه
وضع كان يليق بخلفاء محمد ﷺ نبي الإنسانية و إمام جميع
العصور ، فليرحبوا به و ليواجهوه بشجاعة و ثقة و إيمان ،
وليقلوا كما قال الأولون لما رأوا الأحزاب : « هذا ما وعدنا
الله و رسوله و صدق الله و رسوله ، و ما زادهم إلا إيماناً
و تسليماً » ، فلما ختم الله النبوة بمحمد ﷺ و أكمل هذا
الدين — مع بقاء الإنسانية و تقدم المدنية و تغير العصور —
فقد جعل هذا الدين صالحاً لكل عصر و بلد ، و كتب لخلفائه
القيادة و التوجيه لكل جيل ، و أودع في طبيعة هذا الدين
و شريعته ما يجيب عن كل سؤال ، و يفك كل عقدة ،

ويحل كل أزمة ويواجه كل جديد ، فخالق العصور هو
 شارع هذا الدين ، وهو الذى يقول : « اليوم أكملت
 لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً(١) » ،
 وهو الذى يقول : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم
 ولكن رسول الله وخاتم النبيين(٢) » .

و لا بقاء للانسانية و لا مطمع فى المدينة الفاضلة ،
 و لا سبيل إلى سعادة البشرية ، بغير تعاليم النبوة ونورها
 وتوجيهها ، فمن جزع من العلماء — خلفاء الرسول ﷺ —
 فى مواجهة هذا العصر ، و من ضعفت ثقته بصلاح هذا
 الدين لقيادة ركب الانسانية ، و من غلب عليه التشاؤم و رأى
 أن صفقته خاسرة وجهوده ضائعة لا محالة ، فقد أساء الظن
 بربه واتهم هذا الدين بالعقم و جهل معنى ختم النبوة ، و لم يكن
 جديراً بخلافة النبوة و نيابة الرسول ﷺ ، و إنى أعيدكم
 أيها السادة عن أن تظنوا هذا الظن و تنزعوا هذا المنزع و أتم
 حملة لواء العلم و الدين ، و أعضاء « ندوة المجاهدين » .

(١) سورة المائدة ، الآية - ٣ (٢) سورة الاحزاب ، الآية - ٤٠

المنهاج والشخصية عاملان أساسيان في الإصلاح وقلب الأوضاع :

أيها السادة ! إن العاملين الأساسيين في كل مهمة يطلب فيها قلب الأوضاع وإصلاح الأحوال الفاسدة من زمان بعيد ، والاتجاه بالمجتمع إلى نحو جديد ، هما : المنهاج و الشخصية ، عاملان اثبات لا يفتي أحدهما عن الآخر ، فلا بد أن يكون منهاج العمل صحيحاً و لا بد أن تتوفر في شخصية العامل صفات تكفل بالنجاح و تنزل رحمة الله و توجب نصره ، هذه سنة الله في الخلق و هذه تجربة التاريخ ، و من عاند هذه السنة خاب و خسر ، و ضيع جهوده و وقته ، فللزراعة في الأرض منهاج ، وللزراع الصالح المفيد شخصية و سيرة ، و لا بد للعمران و للمجتمع الصالح منهما جميعاً ، فمن طلب الزرع عن غير طريقه و حارب طبيعة الأرض و سنة الله في الخلق عوقب بالخسران و الحرمان ، و إذا فسدت سيرة الزارع أو انحرفت فطرته أو ساءت مقاصده ضيع الجهود و أهلك الحرث و النسل .

حين يجتمع العاملان :

إنهما عاملان أساسيان لا يجوز إهمال أحدهما اعتماداً على الآخر ، و قد اجتماعاً أحياناً و انفصلاً أحياناً ، و أفضل ما اجتماعاً في التاريخ في شخصية الرسول ﷺ و خلفائه الراشدين و الأئمة المجددين ، فكان أفضل منهاج يقوم به أفضل رجال ، و كان أصح طريق يدعو إليه أقوى شخصيات ، و إذا اجتمعت صحة المنهاج و اعتداله مع إخلاص العاملين و الدعاة و ربانيتهم ، جاءت النتيجة كفلق الصبح .

و يتلخص حديثنا اليوم في الإشارة إلى منهاج الدعوة و شخصية الداعي .

أفضل المناهج دعوة الأنبياء :

أما المنهاج فلست في حاجة إلى الإفاضة في شرح منهاج و التعب في اختياره و مقارنته بالمنهاج الأخرى (١) ، فأفضل المناهج من غير شك منهاج الأنبياء في الدعوة و الإصلاح ،

(١) و قد بحثنا في ذلك في كتابنا « ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ، انظر الفصل الأول من الباب الثاني .

فيجب أن تكون دعوتكم دعوة الأنبياء عليهم السلام ، دعوة إلى الله ، دعوة إلى معرفته ، المعرفة الصحيحة المعتبرة التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام ، والايان به والإخلاص له والانتقطاع إليه ، فليكن هتافكم وشعاركم : « ألا لله الدين الخالص (١) ، و دعوة إلى حبه ، حباً يملك القلب و يحكم على الأعضاء والجوارح : « و الذين آمنوا أشد حبا لله (٢) ، « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة (٣) ، « والاتجاه إليه في جميع الأحوال ، والاطراح على عتبة عبوديته : « و أنيبوا إلى ربكم ، و أسلموا له (٤) ، دعوة إلى دار السلام وحنين إلى النعيم المقيم و إيشار الآخرة على الدنيا ، و ليكن هتافكم وشعاركم في غير حياء و خجل و في غير اعتذار و تورية : « و ما هذه الحياة الدنيا إلا هوى و لعب وإن الدار الآخرة هي الحيوان (٥) ، و ترديد كلمة النبوة : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » ،

(١) سورة الزمر ، الآية - ٣

(٢) سورة البقرة ، الآية - ١٦٥

(٣) سورة البقرة ، الآية - ٢٠٨

(٤) سورة الزمر ، الآية - ٥٤

(٥) سورة التكبوت ، الآية - ٦٤ .

و لتكن دعوتكم إلى التوحيد الخالص ، توحيد الألوهية
و الربوبية لله ، و إثبات النفع و الضر له وحده ، التوحيد
النقي الخالص الذى دعا إليه جميع الأنبياء فى عصورهم وجاهد
الرسول عليه السلام فى سيده فاتمته الفتنة و كان الدين لله .

دعوة إبراهيم و محمد عليهما السلام
و الحضارة التى أنشأها :

و لتكن دعوتكم إلى ملة إبراهيم ، و دين محمد ﷺ
بالصراحة و التعيين ، و إلى الحضارة التى كان إبراهيم مؤسسها ،
و محمد ﷺ مجددما و مكملها ، حضارة لها أصول معينة فى
الاجتماع و الاخلاق ، حضارة تكفل حرية الانسان و سعادته ،
حضارة تخلقها عقائد معينة و أصول معينة و أخلاق معينة ،
إنها دعوة إبراهيم و محمد ﷺ لا يقبل الله سواها .

الإمامة الخالدة و الوصاية الباقية :

وجعل الله لآبراهيم الإمامة الخالدة و الكلمة الباقية
وجعل فى ذريته النبوة و الولاية و الوصاية الدينية على العالم

الأبد ، و كتب لآسرتة و من دخل داره ، الجهاد للحق
 والوقوف في وجه الباطل إلى آخر الأبد ، و الدعوة إلى الله ،
 و تجديف سفينة البشرية في عواصف هوجاء و أمواج عاتية ،
 و المحافظة على هذا السراج من أن ينطفئ ، و هو العامل
 البناء الوحيد الذى استعمله الله فى إسعاد البشرية وعصمه من
 تخريب العالم وتدمير الانسانية وسوقها إلى الجحيم ، فلتكن
 دعوتكم ، أيها العلماء ا إلى ما دعا إليه إبراهيم فى عصره :
 « و جعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون (١) » ، و لتكن
 دعوتكم إلى ما دعا إليه محمد ﷺ و أصحابه ، وليكن متافكم
 لنفوسكم و تلاميذكم و معاصريكم : « و لا تموتن إلا و أنتم
 مسلمون (٢) » .

خصائص الدعوة الابراهيمية المحمدية
 و الحضارة التى تقوم على أساسها:

إن هذه الدعوة الابراهيمية المحمدية — أيها
 الإخوان — لا تعرف الوثنية و الشرك و لا تسمح به فى

(١) سورة الزخرف ، الآية - ٢٨ (٢) سورة آل عمران ، الآية - ١٠٢

لون من الالوان فى أى مكان و زمان ، فكان أعظم دعاء
 لإبراهيم و أكبر همه : « واجنبى وبنى أن نعبد الأصنام(١) » ،
 وكان أكبر وصيته ودعوته للأمم والأفراد جميعاً : « فاجتنبوا
 الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور ، خفاه الله غير
 مشركين به(٢) » .

إنها لا تعرف التهالك على الشهوات ، و التكالب على
 حطام الدنيا ، و التناحر على جيف المادة ، و التقاتل فى
 سبيل الحكومات و المناصب ، إنها دعوة لم تزل عقيدتها :
 « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض
 و لا فساداً ، و العاقبة للمتقين(٣) » .

إنها دعوة لا تعرف الفصل بين الانسان و الانسان ،
 و التمييز بين الالوان والأوطان ، فالناس كلهم من آدم و آدم
 من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى
 إلا بالتقوى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى

(١) سورة إبراهيم ، الآية - ٢٥ (٢) سورة الحج ، الآيات - ٣٠ - ٣١

(٣) سورة القصص - الآية - ٨٣

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١) ، وقد قال خاتم الرسل ﷺ : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (٢) ، و قال لمن هتف بالأنصار و من هتف بالمهاجرين : « دعوها فانها منتنة (٣) » .

إنها دعوة تعرف في العقيدة بالتوحيد ، و في الاجتماع باحترام الانسانية و المساواة بين أفرادها ، و في دائرة الأخلاق و المنهج بتقوى الله و الحياء و التواضع ، و في ميدان الكفاح بالسعى للآخرة و الجهاد لله ، و في ساحة الحرب بالرحمة و العاطفة الانسانية ، و في أنواع الحكومات بترجيح جانب الهداية على جانب الجباية ، و الخدمة على الاستخدام ، و تعرف في التاريخ بخدمة الانسانية المخلصة ، و انقاذها من براثن الجاهلية و الدعوات المضلة الطاغية ، و في العالم بآثارها الزاهرة الزاهية و خيراتها الفاشية الباقية .

إنها حضارة عجمت مع اسم الله و مراقبته و صبغت بصبغة

(١) سورة الحجرات ، الآية - ١٣ (٢) رواه أبو داود
(٣) رواه البخارى في كتاب التفسير و مسلم في صحيحه في كتاب البر

الله ، و قامت على أساس الايمان ، فلا يمكن تجريدتها عن الطابع الدينى واللون الربانى و الروح الايمانى .
مهمة أتباع الدين الحنيف فى بلاد الوثنية :

كونوا أيها الاخوان احملة دعوة إبراهيم و دعاة إلى الحضارة الابراهيمية المحمدية ، فى بلاد تدين بالبرهمية و تحصر على إحيائها و إعادتها و تطبيقها فى التعليم و التربية و فى الحضارة و الفلسفة و مناهج تعليمها و كتبها الدراسية قائمة على أساطير الآلهة و الألامات و على علم الأصنام العتيق ، و ليس لأتباع ملة إبراهيم و أبناء الدين الحنيف إلا أن يقاطعوها و يحتجوا ضدها ، و يلحوا على سحب هذه المواد الوثنية من الكتب التى تفرض عليهم دراستها فى جمهورية علمانية كالهند ، و يتكفلوا بتعليم أبنائهم و تربية الجيل الجديد تربية إسلامية ، و يعملوا بوصية إبراهيم لأولاده : « و وصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون(١) » .

(١) سورة البقره ، الآية - ١٣٢

تذكير للعالم العربي :

لا تكونوا حملة هذه الدعوة في هذه البلاد البرهمية فحسب ، بل عليكم أن تحملوا هذه الدعوة إلى مشارق الارض ومغاربها ، و لا يبعد أن تحملوا هذه الدعوة إلى البلاد العربية التي ينتمى أبناؤها إلى سيدنا إبراهيم نسباً و عقيدة ، و سلالة و ديناً ، فقد أصبحت مع الأسف في حاجة شديدة إلى إحياء هذه الدعوة و تجديدها ، و قد حدث فيها من العوامل السياسية والاجتماعية و الثقافية ما أضعف صلتها بهذه الدعوة و الحضارة أخيراً ، و شغلها عن الكفاح في سبيلها و الدعوة إليها في إخلاص و حماسة كما كان شأنها في الماضي ، و أصبح بعضهم بذكر جاهليته في حنين و إجلال ، و أمجاد و أبطاله الذين أدخلهم الاسلام في تقديس و إكبار ، احموا هذه الدعوة إلى مركزها الذي نبعت منه و انتشرت في العالم ، في رفق و حكمة و إخلاص و إكرام ، حتى يقبل عليها و يعتنقها ويقول ، و تصدقون : « هذه بضاعتنا ردت إلينا(١) ، و صدقوا أنه

(١) سورة يوسف ، الآية - ٦٥

إذا نهض بهذه الدعوة من جديد غير مجرى التاريخ كما فعل في الماضي ، و خضعت له القلوب و الأوضاع كما وقع بالأمس .
فضل التمسك باللغة العربية و ثقافتها :

أعجبنى أيها الاخوان — يا أبناء كيرله و مالابار — تمسككم باللغة العربية و محافظتكم عليها ، و تلك ميزة تفردون بها في شبه القارة الهندية حتى يحتاج هندي مثلى إلى أن يتحدث إليكم بالعربية ، أحيي فيكم هذه الغيرة ، و هذه الاستقامة ، فقد حفظتم هذه اللغة حين ضيعها المسلمون في الهند كلها ، و عرقتهم حقها و فضلها حين جهلها المسلمون في بلاد إسلامية كثيرة ، و أتم تستحقون ثناء المسلمين جميعاً و اعترافهم و تقديرهم ، و لكم أن تفقهوا العقيدة الإسلامية و تتضلعوا بالثقافة الإسلامية بفضل هذه اللغة ، و أن تستقوا الشريعة من منابعها الصافية الأصلية ، و أن تحملوا الدعوة الإسلامية إلى البلاد العربية .
قيمة اللغة العربية و سر خلودها :

و لكن ذلك لا ينعنى عن أن أقول لكم إن قيمة هذه

اللغة الكريمة وفضلها أن نطق بها أتباع إبراهيم وحملة دعوته
زماً طويلاً وبعث محمد ﷺ في الناطقين بها ، ونزل الكتاب
الآخِر الذي أكرم الله به الإنسانية في هذه اللغة ، وإذا
انقطعت صلة أمة عن هذه الدعوة والحضارة لم تنفعها صلتها بهذه
اللغة والثقافة ، فليكن حرصكم على باب الدين وجوهره ، وعلى
دعوته و تعاليمه أكثر من النطق بهذه اللغة و البراعة فيها .

تمسك بالاصول والغايات
وتوسع في الوسائل والآلات :

يجب أن تميزوا بعد ذلك بين الغاية والوسيلة ، و قد
أخفق في ذلك الكثيرون من زملائكم وإخوانكم ، فعاملوهما
معاملة واحدة و ألحوا على كليهما ، لقد جمدوا على الوسائل
حين وجب التوسع فيها و اختيار الأنفع الأصحح ، والأفضل
الأمثل ، والأحد الأقوى ، والأسرع الأمضى ، لقد كان
الواجب أن نبقي متمسكين بالدعوة الإبراهيمية و أصول
الحضارة الإسلامية ، نعض عليها بالنواجذ ونقاتل دونها
و لا نتخلى عن شعيرة من شعائرها و ركن من أركانها بل سنة

من سننها ، وتوسع في العلوم ومرافق المدنية ومناهج التعليم
ووسائل القوة واقتباس العلوم النافعة ، لقد كان المطلوب
الصلابة في الاول و المرونة في الثاني ، و قد ختمت الشرائع
و أكملت الأديان و وضعت أصول الأخلاق وعينت مبادئ
المدنية الصالحة ، و بالعكس قد أطلق عنان العقل و التفكير
والاكتشاف والاختبار وفطرت العلوم على النمو والاكتمال
تدرجاً و العقول على التوليد و التلقيح ، و الانسانية على
الاختبار و المغامرة ، و لكن كثيراً من المنتسبين إلى العلم
و الدين لا يفكرون هذا التفكير و يتمسكون بصورة الوسائل
و المناهج تمسكهم بالمقاصد و الغايات .

جناية هذا الغلو وعدم التمييز :

و قد جنى هذا الغلو و التقصير في التفكير على المجتمع
الإسلامي أولاً و على العالم الإسلامي آخراً ، فقد تعطل
الفكر الإسلامي و وقف عن الابتكار و التوليد من زمان ،
وبقيت مناهج الدراسة عندنا لا تسير الزمان و لا تفي
بالمطلوب و لا تؤتي أكلها كل حين ، لقد كان الواجب

أن نجددما ونخضعها لغاياتنا و تنفع فيها روحا جديدة ،
ونجمع بين الدين والدنيا والقديم والجديد ، فديننا أبدى ليس
فيه القديم والجديد ، و رسالتنا عالمية لا شرقية و لا غربية .
صلابة الحديد ونعومة الحرير :

إننا قد خلطنا أيها الاخوان بين الغايات و الوسائل ،
فلنبداً من اليوم عهداً جديداً ، فاذا كانت الغايات فلتكن
فينا صلابة الحديد ، و إذا كانت الوسائل فلتكن فينا نعومة
الحرير ، إنه لا غنى لنا عن القرآن و الحديث و الفقه في
عصر من العصور ، و إذا كان هذا المقرر فلا غنى لنا عن
علوم اللغة و الصرف و النحو و الأصول ، و ايس لتعليمها
طريقة واحدة و لا منهاج واحد لكل عصر و لكل بلد ،
و علينا أن نختار الأوفق بطبيعتنا و طبيعة البلاد و الأوضاع
المحيطة بنا و الاكفل بالنجاح و الأضمن بالنتيجة .

الدعوة ولغاتها و أساليبها المختلفة :

لا بد من الدعوة الاسلامية فانها قوامنا و قيمتنا و حكمة
خلقنا و سر وجودنا ، و لها أسس و مبادئ و أهداف معينة ،

ومادتها القرآن و السنة و السيرة النبوية و حكمة الدعوة ،
ولكن ليست لها لغة مقررة وأسلوب معين ، و كلمات خاصة
يردها الكاتب و الخطيب في كل عصر و بلد ، إنها دعوة
للإنسانية النامية المتطورة إلى دين الفطرة الخالد الجامع ،
فلنختار لهذه الدعوة الأسلوب العصري الحكيم و اللغة العذبة
الريقة ، و البيان المشرق المؤثر . و نستخدم لها الأدب
و الذكاء و البلاغة ، و الأساليب العصرية المقبولة ، حتى ننفذ
بذلك في المجتمع و الأذواق ، و نؤدى رسالتنا أحسن تأدية ،
و هكذا فعل السلف ، فكان فيهم دعاة و مصلحون و متكلمون
و مجددون ، يستحقون أن يعدوا في طليعة أدياء العالم و أمراء
البيان و أئمة المدارس الأدبية و المناهج الكلامية .

لا بد للإسلام من الغلبة و العلو و الانتشار ، هذه هي
الغاية لا شك ، ولكن ليس للوصول إلى هذه الغاية طريق
واحد و وسيلة واحدة . فلنختار من الوسائل و الطرق أقربها
و أيسرها و أضمنها للوصول بشرط أن تكون صالحة مطابقة
لشريعة مستنبطة من الكتاب و السنة ، و ليس مبدأنا « الغاية

تبرر الوساطة ، ، إننا مكلفون بصلاح الغاية وصلاح الوسائط .
وهكذا أيها الاخوان ! يجب علينا أن نستخدم لتبليغ الدعوة
الابراهيمية و الرسالة المحمدية كل عقل و تفكير و كل قوة
و وسيلة ، و نجمع بين التصلب في الغايات والتوسع في الآلات ،
و ذلك شأن العلماء الراسخين والدعاة العاقلين في كل زمان .

العامل الثاني : شخصية الداعي :

و قد تحدثت إليكم عن المنهاج ، و في ما قلت بلاغ
ومقنع للعقلاء ، و لا أريد أن أزيد عليه ، واسمحوا لي أن
أحدثكم الآن عن شخصية الداعي و العامل ، فذلك هو العامل
الأساسي الثاني في مهمة الاصلاح و الدعوة .

صفات الداعي ومؤهلاته :

إن للداعي صفات ومؤهلات ، لا بد منها لتحقيق الغاية
المنشودة ، و هي التي تكسب العمل قوة وتأثيراً وقبولاً ،
و إذا تجرد عنها منهاج للدعوة كان صناعة و تمثيلاً و فناً ،
و كان مسرحية دينية لا روح فيها و لا حياة .

الإخلاص و التجرد عن المطامع:

إن أول هذه الصفات هو الإخلاص الذي لا يقبل الله عملاً بغيره ، و إذا تجرد عنه كان زبداً يذوب جفاءً أو ذرة تطير هباءً ، و أفضل السياسة و خير الحكمة في كل زمان هو الإخلاص ، إن المجتمع مهما بلغ من القسوة و الغباوة و البلادة ، و مهما أمعن في المادية ، فانه لم يزل و لا يزال خاضعاً للخلاص مقراً له بالفضل مؤمناً بإخلاصه ، و لم يفقد — في أشد أدواره المادية و في أشد انحرافاته — القوة التي تميز بها بين المخلصين و غير المخلصين المحترفين ، و لم يفقد حب المخلصين و الميل إليهم ، إن أفضل سلاح نستطيع أن نحارب به هذه المادية الرعناء هو سلاح الإخلاص و الزهد في حطام الدنيا و ما يتكالب عليه عبادة المادة و يتهاكون عليه من الجاه و المنصب ، و الرخاء و الثراء ، و فضول الأموال و الألقاب ، و بهذا السلاح حارب المخلصون في كل زمان و تحصنوا به ، و هي اليد البيضاء التي أشرقت بها الظلمات ، و ذابت بها المنافسات و أخفقت بفضلها

المؤامرات ، وانقضت بها التهم و الشبهات ، المادية عنيفة مسلحة بأقوى الأسلحة ونحن فقراء ضعفاء عزل ، ولكن الله سبحانه و تعالى رزقنا سلاحاً ليس عند أقوى الحكومات و أعظمها سلطاناً ، هو سلاح الإخلاص و التجرد عن المطامع و العزوف عن الشهوات ، ، إني لا أحرم عليكم الطيبات و ما أحل الله لكم من متاع الدنيا و أسبابها ، ولو شئت لما استطعت ، فهذا الكتاب حجة علينا و هو الحاكم بيننا ، و هو يقول : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق (١) » ، ولكن أقول لكم إن الإخلاص و الزهد مرتبة دون تحريم الطيبات ، هو القناعة و الرضا و التوكل على الله في غير عجز و بطالة ، و الاعتزاز بالايمان و العلم و المعرفة ، و الاعتداد بالنفس ، و علو الهمة في غير كبرياء و صلف ، ذلك الزهد الذي تجلى في سيرة العظماء و المصلحين الذين يتجمل بهم تاريخ الإصلاح و التجديد ، و قد تبعت أيها السادة تاريخ الإصلاح

(١) سورة الأعراف ، الآية - ٣٢

فرايت أن الذين استطاعوا أن يؤثروا في عصرهم تأثيراً عميقاً ونحوا بالمجتمع نحواً جديداً ، وقلبوا تيار الأفكار ، كانوا على جانب عظيم من الزهد و القناعة وعاش كثير منهم في شظف من العيش وتقشفوا في الحياة حتى أصبحت أعتقد أن الزهد عامل من عوامل النجاح و التأثير ، و ما يصدر من هؤلاء الزهاد من كتابة و إنتاج و إصلاح و تجديد يكتب له البقاء و الخلود و يقدر له الانتشار و القبول ، فليكن هذا أساسكم في كل أعمالكم حتى إذا أسهتم في السياسة و دخلتم في كفاح ، كنتم ممتازين باخلاصكم و نزاهتكم ، و زهدكم في المناصب و المنافع .

قوة الصلة بالله تعالى :

الشيء الثاني هو قوة الصلة بالله تعالى ، و هو الذي يعبر عنه القرآن تارة بالإنابة و تارة بالإخبات ، إنكم لا تستطيعون أن تعيدوا الإيمان و الثقة بالله إلى نفوس العامة و الخاصة ، و تملأوها حماسة دينية و كيفية إيمانية ، بإيمان ضعيف تقليدي ، إن القلب البارد الخامد لا يستطيع أن يشعل قلوب الآخرين ، إن الجمر إذا انطفأت النار فيه

لا يدفعى الناس ، إن جميع من قاموا بخلافة النبوة و نفخوا
 فى المجتمع روحاً جديدة وقاوموا المادية فى عصورهم ، ومنعوا
 الناس من الانجراف وراء المادة و التهالك على الشهوات
 والزخارف ، بل استطاعوا بدورهم أن يعتصموا من قذسة
 المال و الحكم ، و إغراء المادة ، و لم تستطع سياط الملوك
 و سباطهم و موآندهم و ما يخلعون على العلماء و رجال الدين
 من المنح و الوظائف أن يشتريهم ، كانوا أصحاب صلة قوية
 بالله ، الذين قوى إيمانهم و صحت نسبتهم مع الله ، و استولى
 على مشاعرهم حب الآخرة و الشوق إلى لقاء الله و الحنين إليه ،
 الذين رسخ فيهم ذكر الله و تغلغل فى أحشائهم ، و أشرفت
 قلوبهم ، و تنورت ليلابهم و طابت أسحارهم و تعطرت مجالسهم ،
 الذين آثروا الآخرة على الدنيا ، وقعوا باليسير و رضوا عن الله ،
 و تأسوا برسول الله ﷺ و أصحابه فى حياتهم و اتخذوهم لهم المثل
 الكامل و القدوة الحسنة ، و تمنوا و استطاعوا أن يقولوا و هم
 فى آخر عهدهم بالدنيا :

« غداً نلاقى الآخرة ★ محمدأ و حزبه ،

الحرص على اتباع السنة واقْتفاء آثار الرسول ﷺ :

والوصية الثالثة — إن جاز لي ومثلي أن يسميها وصية
و أنا أحدث إلى العلماء الأعلام ودعاة الإسلام — هو
العمل بالسنة وترسم خطي رسول الله ﷺ ، الذي خصه الله
بالرضا والمحبة ، فصد كل طريق إلى القبول والرضا
و النصر والاحتباء والهداية إلا طريقه فقال : « قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم (١) » ، و قال :
« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (٢) » . و قد صدق
الشاعر المؤمن حيث قال : « إن محمد العربي هو شرف العالم
و كرامة بني آدم في الدنيا والآخرة ، فمن أبي أن يكون
غبار عتبه تربت يمينه ورغم أنفه » ، إن أعظم سعادة
أيها العلماء الكبار أن يقدر لنا إحياء سنة من سنته و أن نوفق
لاتباعه وتقليده في الحياة كلها ، و أن نحب ما أحبه ونبغض
ما أبغضه ، و أن نداوم على ما داوم عليه حتى نكون كتاباً

(١) سورة آل عمران ، الآية - ٣١ (٢) سورة الأحزاب ، الآية - ٢١

ناطقاً متحركاً في سيرته وشمائله و أخلاقه وعاداته ، هذا أقصى ما يبلغه عالم ويتمناه مؤمن من السمو والعلو ، وليس اتباع السنة محدوداً في بضع مسائل فقهية وعدد من أحكام الصلاة وأوضاع العبادة ، بل هو عام في الحياة ، و المتبع المحب حريص على اتباع الرسول واقتفاء آثاره وتطبيق سننه في حياته كلها و في تصرفاته و أخلاقه و أوضاعه .

انقطاع الداعي إلى رسالته وتقانيه فيها :

و الصفة الرابعة التي يرجع إليها الفضل في نجاح الدعوة و انقلاب الأوضاع و تحول التيار — مهما كان عنيفاً و طاغياً — من جهة إلى جهة ، هو عزم الداعي وقوة إرادته و انقطاعه إلى رسالته و تقانيه فيها ، فلا تجدون دعوة أو ثورة غيرت مجرى التاريخ أو مجرى الحوادث ، أو قضت على فئنة عمت و طغت ، أو أزالته خطراً محققاً ، أو أسست مجتمعاً جديداً ، أو أعادت الروح و الحياة و الثقة إلى الأمة أو جماعة من أهل الحق ، إلا و على رأسها فرد عصامي صحت عزيمته و قويت إرادته و ملكت القضية قلبه و فكره ، و استولت على

مشاعره وعواطفه و تفكيره ، فيها لذته و فيها حياته ، كان ذلك شأن أبي بكر حين قام بالخلافة وظهرت الردة في العرب و منع القبائل الزكاة ، وكان هذا شأن الامام أحمد ابن حنبل في فتنه خلق القرآن ، و الامام أبي الحسن الأشعري حين قام للدفاع عن أهل السنة و رد المعتزلة ، و شأن شيخ الاسلام ابن تيمية حين قام بمهمته الإصلاحية و محاربة التتر ، و شأن السلطان صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله حين قام لمحاربة الصليبيين و ردهم على أعقابهم و حفظ العالم الاسلامي من الذل و الردة و الإهيار ، و شأن الامام أحمد بن عبد الآخذ السمرندي حين قام لمنع الحكومة المغولية العظيمة القوية في عصر أعظم ملوكها و المجتمع الهندي الاسلامي ، عن أن يصبحا لادنيين برهميين ، و تحويلهما إلى الدين الاسلامي و الحضارة الابراهيمية المحمدية ، على اختلاف طبقات هؤلاء الدعاة و العظماء و دوائر عملهم و على ما بينهم من التفاوت و التفاضل ، و ذلك سر نجاح دعوتهم و تحقق ما أرادوه و كلفوا له ، و قد رأيت هذا شأن المصلح الكبير و العارف

الجليل الداعي إلى الله مولانا محمد إلياس ، فقد عاش في هذا
 الهم و القلق و الجوى ، وانقطع إليه انقطاعاً كلياً ، و كنت
 أراه كأنه يظل و يبيت على حسك السعدان ، يتملبل تملبل
 السليم و يبكي بكاء الحزين ، و لا يهدأ له بال و لا يقرله
 قرار ، و ذلك سر انتشار دعوته في هذا العصر المادى من
 غير تنظيم و شكليات ، و انتشار دعائه على بعدهم عن المظاهر ،
 في الاقطار الاسلامية و الغربية و أمريكا و أوروبا ، و تأثيرهم في
 قلوب الناس ، حتى تفتح باب الدعوة الاسلامية في اليابان
 على أيديهم أخيراً ، بعد ما بقى مقفلاً من قرون (١) .

عمود الصفات « الربانية » :

و للداعي صفات أخرى يطول عنها الحديث و ينشعب ،
 و لا يمكن استيعاب القول و استقصاء تفاصيله ، و قد جمعها
 القرآن باعجازه في كلمة واحدة هي كلمة « الربانية » ، فقال :
 « و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم

(١) و لا يزال مركز هذه الدعوة في دعلى مصدر قوة و حماسة و نشاط دينى و علمى
 ممة في الدعوة و الجهد في سبيل الله .

تدرسون(١). ، و مهما اجتهد المجتهد فانه لا يستطيع أن يأتي بكلمة أبلغ و أوضح ، و أوسع وأجمع من هذه الكلمة .

إن صفات الداعى ، الربانية تتجلى وتفهم بسهولة في سيرة الدعاة الربانيين ، فهي أقرب طريق وأسهل طريق إلى معرفتها وفهمها وأقوى حامل على الاتصاف بها ، و أنا أقترح عليكم مطالعة الكتب التي ألفت في سيرة المصلحين المجددين والدعاة الربانيين ، و ألفت نظركم بصفة خاصة إلى مطالعة سيرة مصلحين داعيين نبغا في هذه البلاد وعاشا في الماضى القريب ، و هما المصلح الكبير و المجاهد الجليل السيد أحمد ابن عرفان شهيد بالاكوت (٥١٢٤٦هـ) و الداعية العظيم الجليل الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (١٣٦٤ هـ) (٢) ، فليس لأحد أن يقول لقد تقدم عصرهما و بعد منشؤهما ، و مركز

(١) سورة آل عمران ، الآية - ٧٩

(٢) للحاضر كتاب مستقل في سيرة كل واحد منها في أردو ، الأول في أكثر من ألف صفحة و الثانى مترسط .

دعوتها ونحن أبناء عصر آخر وبلد آخر .

الإغماض عن الخلافات الجزئية

وتركيز الجهد على الدعوة إلى الله :

و أقول لكم أخيراً عملاً بوصية رسول الله ﷺ بالنصح لكل مسلم ، خصوصاً لمن ولى أمرهم ، واعتماداً على الثقة التي بذلتوها لي ووضعتوها في ، أن تغضوا البصر عن الخلافات الجزئية والاختلافات الفقهية التي لم تزل ولا تزال في هذه الأمة ، فمن حاول القضاء على مذهب من هذه المذاهب وحاول الجمع على مذهب واحد أخفق وجاهد في غير جهاد ، وربما أحدث مذهباً جديداً أو أسس فرقة جديدة زادت في عدد الفرق الإسلامية و في بلاء الأمة الإسلامية ، و من تصدى لرد بعضها والانتصار لواحد ، تشاغل عن الأهم بغيره ، و أغنى بذلك المذاهب الفقهية التي قبلها سواد هذه الأمة ومضى عليها فريق من السلف و مآخذها الكتاب و السنة واجتهاد الفقهاء ، فعلينا أن نركز كل جهد وعناية وكفاية على الدعوة إلى الله و إلى دار السلام ، واتباع الرسول ﷺ .

معسكر ديني واحد :

و تكون معسكرا واحدا وجهة مؤحدة أمام الدعوة
اللا دينية التي هي دين العصر الجديد ، و التي لا تفرق بين
مذهب و مذهب ، و مدرسة و مدرسة ، و أنها إذا سادت
و غلبت قضت على كل عرق ديني ، و هدمت كل بناء ديني ،
فلنكن يدا واحدة عليها ، معتمدين بحبل الله جميعاً ، دعاء
إلى الله وحده ، متعاونين على البر و التقوى .

إن المنهاج النبوي للدعوة و إن الداعي الرباني ، هما
العاملان الأساسيان أيها الإخوان للدعوة في هذا العصر ، و في
كل عصر ، فليكن هذا شعارنا و مبدأنا و لكن هذه غايتنا .

و أخيراً أعود فأشكركم على هذه الكرامة التي أكرمتموني
بها أيها الإخوان ، التي كانت سبباً لهذا اللقاء الكريم ،
و لهذه الفرصة السعيدة ، و لهذا الحديث الذي أفادني قبل
أن يفيد غيري ، « ربنا آتانا من لَدُنكَ رحمة و هيئنا لنا من
أمرنا رشداً » .